فلسفة التربيـــة

كما يراها فلاسفة الغرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢ —

« الفلسفة بوجه عام هي المحاولة المتكررة للوصول إلى معرفة منتظمة مفهومة لصور وعلاقة ومعنى ومحمول الأشياء »
« بولزن Paulsen »

وأيت في المقال السابق ذلك « التقدير النزيه » الذي تقوّم به الفلسفة عملية التربية ، وتبينت إلى أي حد ترتفع التربية بذلك « التقدير » وتسمو على سائر التجارب الإنسانية . وأحب اليوم أن أنتقل بك إلى العلاقة بين الفلسفة والتربية ، وإلى فحوى فلسفة التربية لدى الإنجليز والأمريكيين على الخصوص ، تمهيداً للكلام على مسائل أخري تختص بأغراض التربية ومنهجها ، وتطبيقات العلم والديمقراطية عليها

العلاقة بين الفلسفة والتربيـة قوية إلى أبعد حد . بل إن « جون ديوى » الفيلسوف الأمريكي الذي يحمل لواء التربية في هذا العصر يذهب إلى القول بأن الفلسفة اليونانية — وهي أول فلسفة دقيقة معروفة — لم تنشأ إلا من ضغط مسائل التربية على عقول المفكرين . وإذن فلم يكن « الطبيعيون الأولون » عنده إلا فصلا في تاريخ العلم ! أما السفسطائيون وسقراط ، فأولئك هم الذين اضطرتهم شئون التربية في عهدهم إلى أن « يتفلسفوا » ! فكان لنا منهم كلام في التربية تأدى بهم إلى كلام في الفلسفة ! !

ومهما يكن من أمر هذه المبالغة الظاهرة في كلام « ديوي » فلا شك أن التربية لا تستطيع أن تستغني قط عن الفلسفة ، لا في غاياتها ولا في تقدير وربط نتائج علومها الكثيرة بعضها ببعض . بل نحن إذا نظرنا في مسائل الفلسفة الكبرى وجدنا أن أغلبها يقوم محوراً لعملية التربية ذاتها (١)

ولقد كانت الفلسفة إلى ما قبل « العلم التجريبي » مجرد نظريات ومبادئ تخوض في متاهات ميتافيزيكية كثيرة . أما اليوم بعد أن نجح هذا العلم في اقناع العالم بنجاحه وجدارته ، وبعد أن اتجهت أمريكا على الخصوص اتجاهاً « عملياً » في فهم الكون وتقدير القيم المختلفة للموجودات — فقد أصبحت (الفلسفة) تسير في التربية على الضوء الذي يبعثه العلم ولا تكاد تميل عنه إلا قليلا ، وبالأحرى هي كذلك لدى (جون ديوى) ومدرسته . فهي كما يقولون لا تستطيع أن تفهم الوجود بأكثر مما يسمح به الواقع المحدود !! وهي « في التربية » تأخذ ذلك « الواقع المحدود » من علوم الحياة ، ووظائف الأعضاء ، والنفس ، والاجتماع ، وتاريخ الثقافة والسياسة والتربية والفن والدين ، ثم تكون منه نظرة كلية فيها شرح وتفسير وتقويم وتشريع !

وإذن ففلسفة التربية في هذا المذهب لا تكاد تعدو أن تكون النظرية العامة التي تجد تطبيقاتها في عملية التربية بجميع نواحيها ذلك أنها تعالج التربية كوظيفة ضرورية غير منفصلة عن الحياة بحكم طبيعة الحياة نفسها ، وتنقد وتشرح الطرق والمواد المستعملة في هذه العملية على أساس تلك الوظيفة الآنفة ، وتمدنا بالأصول التي تجعل التربية فعالة ، وتوضح المبادىء التي تنفث الحياة في مصالح الجماعة والتي تبرر النظام القائم أو لا تبرره ، كيما تعطى الجماعة ذاتها شعوراً شاملا قوياً بمعنى الأساليب المختلفة التي تباشرها في تدريب أعضائها ، وبأساس هذه الأساليب وقيمتها

(١) فمثلا العلاقة بين الروح والجسم ، وبين العلم والأخلاق ، وبين الفرد والجماعة ، ومسألة المعرفة ذاتها و ... الخ كل ذلك مما تتناوله الفلسفة والتربية معاً .

الأحمر حاول أن يشعرها أنه قد فرغ من أمرها وفرغت من أمره فما لها عنده إلا البغض والإهمال ، وما له عندها إلا اللهفة على ما كان من أيامه . أفتراه في السحاب الأحمر قد بلغ ما أراد ؟

هيهات أن يخفى الهوى !

استمع إليه يحاول أن يهيج فيها الغيرة ويبعث اللهفة ويوقظ الحنين ويؤرث البغضاء ويثير الندم ؛ فلا يكاد يبلغ آخر الرسالة حتى ينسى ما قصد إليه ليدع لقلبه أن يقول :

ويلي على متـــدلّل ما تنقضي عني فنونهْ
كيف السُّلوُّ وفي فؤا دي لا تفارقني عيونهْ ؟!

يرحمك الله يا صديقي !

« شبرا » محمد سعيد العريان

(*) إلى (دمشق) : إن صاحبة الرامي هي هي التي عرفت

ولئن قال قائل إن التفكير غالباً ما يولى هارباً تحت ضغط الحوادث تاركا العمل للعاطفة ، أو الانفعال ، أو الضرورة الغالبة بحيث أنا لا نستطيع دائماً « التفلسف » فى أساليب حياتنا : فالجواب هو أن التفكير لا يزال بالرغم من ذلك الأداة الوحيدة التى تخرجنا من الأزمات بما يقدمه من حلول ممكنة ، ووسائل محتملة ، ثم هو وإن كان لا يخلق قيماً جديدة فهو على كل حال يمير بين القيم المختلفة ، ويقدم لنا تلك التى توصلنا أكثر من غيرها إلى غايتنا

وإذن فالتربية القائمة على غير فلسفة تستدها تكون كالسارى بالليل من غير دليل ، والتربية القائمة على فلسفة خاطئة مصيرها الفشل المحتوم ...

والأمر فى الفرد والمجتمع على السواء . فلكل فرد فلسفته الخاصة فى الحياة . ولكل جيل أو مجتمع نظريته العامة التى يطبقها فى سلوكه ؛ وعلى قدر دقة هذه النظريه وصحتها يكون النجاح أو الفشل ، والسعادة أو الشقاء (١)

كلمة فلسفة التربية الحديثة فى اتجاهات اليوم

وإذا كان العصر الحاضر يمتاز بثلاثة اتجاهات أساسية هى : الديموقراطيـة ، والصناعة والتجارة ، والعلم التجريبى ، فإن الأستاذ « جون ديوى » عند ما يكتب عن « فلسفة التربية » (فى دائرة معارف التعليم للأستاذ منرو) لا يكاد يخرج عن هذه الاتجاهات الثلاثة . فنراه من حيث الاتجاه الأول (الديموقراطية) ينادى بتعليم الجميع وبتساويهم فى فرصة إظهار كفايتهم الخاصة حتى يمسك فتح التعليم بالذكاء والنبوغ على نحو تعبير « ويلز » القصصى الفيلسوف ، كما نراه ينادى باحترام الفرد ولكن على أن يؤدى واجبه فى المجتمع وهو راض مطمئن

وهو من حيث الاتجاه الثانى « الصناعة والتجارة » يدعو إلى ضرورة إشراك العمل مع النظر فى التربية ، وإلى بث روح التعاون بين الطبقات ، وإلى العناية بعلوم الطبيعة وعدم الافراط فى التخصص الذي يجعل من الآلة إلهاً جباراً . هذا إلى جانب غرس الذوق السليم ، ومحاربة التبذل والاسفاف والترف المقيت وإضاعة الفراغ فى غير متعة بريئـة ، وإلى جانب التحذير الدائم من عواقب التعسفات الرأسمالية

أما من حيث الاتجاه الثالث (اتجاه العلم التجريبى) فنراه يلح فى نبذ تلك « السلبية » البغيضة التى قد أوقفنا وما زلنا نوقف فيها الطفل إزاء عملية المعرفة ، ويدعو بقوة إلى جعل التعليم عملية (كشف) يدرب فيها الطفل حواسه وقواه العقلية ويمضى فيها كما سيمضى غداً فى الحياة ، فيفترض الفروض أمام المشكلات ويجرب ويحقق آنا بنفسه وآنا بإرشاد الأستاذ ، ذلك إلى حصر الدراسة في المواد التى يحتاج إليها العصر الراهن من ناحية ، والكمال الانسانى من ناحية أخرى .

« يتبع »

محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(١) فمثلا تستند الفاشستية فى إيطاليا إلى فلسفة هيجل Hegel التى تؤدى إلى جعل سلطة الحكومة مطلقة . ويذيع هذه الفلسفة فى إيطاليا Georanni Gentile (أنظر كتاب السير برسى Epucation - its Dada and First principles)

« ويقول الأستاذ وليم جيمس في أول كتابه (البراجماتزم) نقلا عن شيلرتون « هناك كثيرون ــ وأنا واحد منهم ــ يعتقدون أن أهم شيء فى الرجل هو نظرته للكون ... ولا شك أن أهم ما يجب معرفته عن عدونا هو فلسفته لا عدده وعدته » أنظر كتاب الأستاذين (روس وفنى) فى فلسفة التربية الاجتماعية

الطرائف الأدبية

مجموعة من الشعر تتألف من قسمين

القسم الأول : ديوان الأفوه الأودى وديوان الشنفرى وتسع قصائد نادرة

والقسم الثانى يشتمل على : ديوان ابراهيم بن العباس الصولى والمختار من شعر المتنبي والبحتري وأبى تمام للامام عبد القاهر الجرجانى

صححه وخرجه وضبطه

الأستاذ عبد العزيز الميمنى

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر فى نحو ٣١٠ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بدارها رقم ٩ بشارع الكردابى بعابدين بمصر والمكاتب الشهيرة